Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

شعر العقاد في ميزان سيد قطب

Aqqād's Poetry in the Critical Scale of Syed Qutb

Mohammad Yousuf Mir
Department of Arabic Language and Literature, Islamic University of Science and Technology, Kashmir, India
mir.mohammadyousf@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الاطلاع على طريقة سيد قطب في تناول شعر العقاد بدراسة نقدية مع قياسه على محك مقاييسه النقدية. مع أن الجمهور من الأدباء والنقاد يتفقون على مكانة العقاد المرموقة في النثر والنقد، إلاّ أن شاعريته كانت مثار الخلاف بين معاصريه من الأدباء والنقاد؛ فمنهم من يرونه متوسط القامة في مجال الشعر من أمثال مارون عبود ومحمد مندور، وبينما يعترف بعضهم بمكانته العالية في الشعر ولكنهم في ذات الوقت ينقدون استيلاء الفكر البارد المجرد على شعره، وفي طليعتهم تليمذه العبقري الأثير الشهيد سيد قطب الذي استفاد من صحبته الطويلة وألفته اللذيذة. فمن هذا المنطلق، سنتناول في هذه الورقة البحثية تقويم شعر العقاد في ميزان سيد قطب وتعيين مكانه في خط سير الأدب وفقا لآراء سيد قطب مع إيراد الأدلة الدامغة والبراهين الساطعة التي يستدل بها سيد قطب لإثبات صواب موقفه النقدي تجاه شعر العقاد. وسننتهج منهجا وصفيا نقديا في هذا البحث كله.

الكلمات المفتاحية: سيد قطب، الشعر، العقاد، ميزان النقد، النقاد

Abstract

The research aims to discuss how Syed Qutb has done the critical study of Aqqad's Poetry and how he valued its status in his critical scale. Despite mutual agreement among Poets and Critics over Aqqād's eminent place in Prose Literature and Criticism, there is a conflict upon his status in the realm of Poetry among Critics. Whereas some of the critics including Marun 'Abood and Mahmud Mandur consider him an average poet, some others acknowledge his eminent place in the field of Poetry but at the same time they criticise the dominance of thoughts over emotions in his poetry and the leading one among them is his genius and favourite student, Syed Qutb, who availed of his long company. Keeping in view the same, the paper is an endeavour to assess Aqqad's Poetry on the critical scale of Syed Qutb and specify his status in the Arabic Literature with overwhelming evidence and bright proof mentioned by Syed Qutb to prove his correct stance towards Aqqad's Poetry. The analytical and critical methodology has been followed throughout the paper.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

Keywords: Syed Qutb, Poetry, Aqqad, Critical Scale, Critics

Article History:

Received: 30/1/2023 Accepted: 21/2/2023 Published: 31/7/2023

المقدمة

يعدّ الأستاذ عباس محمود العقاد من الشخصيات الفذّة التي تتعسّر الإحاطة بها من جميع أقطارها لكونه بحرا زاخرا حيث تتلاطم أمواج فروع المعرفة المختلفة في مجال العلم والثقافة. إذا أمعنّا أنظارنا في آثار العقاد الأدبية والإسلامية المتنوعة، تبيّن لنا أن الرجل كان موسوعة شاملة في شتى فروع المعرفة والثقافة، حيث عالج كثيرا من الموضوعات المختلفة فيما تتعلق بالسياسة، والأدب، والفلسفة، والاجتماع، والتراجم، والسير، كما قام بتحليل الشخصيات العالمية العبقرية. مع أن العقاد اكتسب شهرة بالغة في شتى مجالات المعرفة والثقافة إلا أنه نال قبولا حسنا في مجال الشعر العربي الحديث حيث طار نجم صيته شرقا وغربا على حد سواء. ويشمل تراثه الضخم عدة دواوين شعرية منها "يقظة الصباح" و"وهج الظهيرة"، و"أشباح الأصيل"، و"أشجان الليل"، و"وحي الأربعين"، و"هدية الكروان"، وقد تناول فيها موضوعات ذات نواح مختلفة. ولا شك في أن الأدباء والنقاد يعترفون شاعرية العقاد وملكته الشعرية، ولكن هناك طائفة من النقاد الذين عرضوها للنقد، ومنهم تلميذه العبقري سيد قطب الذي قاس شعره على محك الأصول الأدبية والمبادئ النقدية المقبولة عنده، وانتقد شعره إيجابا وسلبا دون أي تردّد وتذبذب. وقد أتى بحجج دامغة وأدلة ساطعة في نقده حيث حاول تحديد مكانته في عالم الشعر والأدب بين معاصريه شرقا وغربا بالسواسية. قبل الخوض في صلب الموضوع، لا بد لنا من معرفة علاقة سيد قطب مع أستاذه الكبير عباس محمود العقاد، وتأثره به تأثرا بالغا حتى خاف من ذوبان شخصيته في شخصية العقاد، ومبالغته في شاعريته بادئ ذي بدء وتغيّ موقفه تجاه شعر العقاد فيما بعد. فقبل الخوض في صلب الموضوع، تقتضي طبيعة البحث أن نورد أولا ذكرا وجيزا فيما يتعلق بمشكلة البحث ومنهجه والأسئلة المهمة التي يدور حولها البحث كله.

مشكلة الدراسة

إن هذا البحث يقتضي جهودا مضنية من الباحث لعدم توافر المواد المطلوبة لمثل هذا البحث. لاجرم أن بعض مكتوب سيد قطب في متناول أيدينا ولكن من حقائق لا تدحض أن نصيبا كبيرا من مقالاته لا يزال متبعثرا في بطون صفحات المجلات التي كان يكتب فيها سيد مقالاته الأدبية والنقدية، ولم يتم إعارة الاهتمام إلى جمعها وترتيبها في شكل كتابي حتى الآن حسب حدود معرفتنا. نظرا إلى ذلك، لا يمكن للباحث تناول هذا البحث من جميع أقطاره إلا بعد الاطلاع على جميع المقالات المتعلقة بهذا الموضوع.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

أهداف الدراسة

إماطة اللثام عن حقيقة ذوبان شخصية سيد قطب في مدرسة العقاد كما يظن كثير من الأدباء والنقاد، وبيان في تخلّي سيد قطب عن بعض آراءه التي كان يراها في العقاد.

منهج الدراسة

وأما فيما يتعلق بمنهج الدراسة المتبع في هذا المقال فتقتضي طبيعة الموضوع أن ينتهج الباحث منهجا وصفيا نقديا حيث يقوم بتحليل الآراء المختلفة مع تناولها في منظور نقدي، وهذا بدوره سيمهد للباحث السبل المؤدية إلى غايته المطلوبة في هذا البحث المنشود.

الدراسات السابقة

وقد بحثنا كثيرا عن المقالات أو الكتب التي كتبت في سيد قطب وأستاذه العبقري عباس محمود العقاد بغية استيعاب ما فيها من المعلومات المهمة فيما يتعلق بهذا الموضوع أو ما أورده العلماء والمحققون في كتبهم الرائعة إلا أننا لاحظنا أن معظم الكتاب قد اقتصروا على ذكر تلمّذ سيد على العقاد واهتمام سيد بتعليق على كل ما كان يكتب العقاد، ولم يهتموا بذكر الجانب الطريف بين الناقدين ألا وهو نقد التلميذ على شعر أستاذه. كما نلاحظ أن معظم الكتاب يرون أن سيد لم يأت بأي جديد بل كان يتلقف الفكرة من أستاذه ثم يعيدها في صياغة جديدة مدعيا بأنه من وليد ابتكاره، وبينما بعضهم يذهبون إلى الرأي أن سيد ذابت شخصيته في مدرسة العقاد. بعد أن تناولنا هذه النقاط بكل دقة أدركنا أن هناك بعض الفجوات التي تدعو إلى المزيد من البحث والتحقيق من أجل إماطة اللثام عن المجهول فيهما عن أنظار محبي الأدب العربي. علاوة على ذلك، يتميز هذا البحث بطرافة من ناحية المعلومات لأن الباحث لم يعتمد على مجرد ما أورده السابقون في هذا الموضوع بل حاول قدر استطاعته لإيراد كل ما كان مجهولا عن الأنظار حتى عصرنا الراهن، كما حاول الإجابة على الأسئلة التي يتمحور حولها هذا البحث باستناده إلى الأدلة الدامغة والبراهين الساطعة.

حدود الدراسة

تنحصر حدود الدراسة الزمانية لهذا البحث في القرن العشرين لأن النتاج النقدي والأدبي لعباس محمود العقاد وتلميذه الأثير سيد قطب – وما يهمنا بالدرجة الأولى في هذا البحث – كان في تلك الفترة الزمنية. وأما فيما يتعلق بحدوده المكانية فهي واضحة مثل بروق الشمس لأن كليهما نشآ وترعرعا في محيط واحد وبيئة واحدة ألا وهي مصر.

أسئلة الدراسة

إن القضايا المهمة الرئيسية التي تدور حولها أسئلة هذا البحث هي:

- هل ذابت شخصية سيد قطب في مدرسة العقاد؟

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

- ما الآراء التي تخلّى عنها سيد قطب في العقاد وشعره؟
- ما منزلة شعر العقاد في ميزان سيد قطب؟

نظرا إلى الأسئلة المذكورة آنفا تقتضي طبيعة الموضوع أن ينقسم إلى ثلاثة مطالب بغية الإحاطة بالبحث من جميع أقطاره، وهذه المطالب الثلاثة مذكورة فيما **يأتي** بصورة مفصّلة.

المطلب الأول

صلة سيد مع العقاد

توثقت علاقات سيّد الأدبية بالعقاد بعد أن غادر ريفه بغية الحصول على التعليم العالي في القاهرة عام 1920م. فبدأت صلة سيد بالعقاد في وقت مبكر من حياته، وما إن ساق القدر قدماه إلى القاهرة حتى اطّلع على شخصية العقاد، ووجد نفسه في مكتبته الضخمة المكتظة بالتراث الأدبي والعلمي. من المعروف أن سيد كان مشغوفا بقراءة الكتب منذ باكورة حياته حيث كان ينتظر بائع الكتب "العمّ صالح" بفارغ الصبر في قريته، وكان يشترى منه كتبا في موضوعات مختلفة دون مبالاة بارتفاع سعرها، وذاعت شهرته في أرجاء الريف كلها من ناحية شغفه بالكتب وقرائتها.[1]

والجدير بالذكر أن شخصية العقاد كانت تحظى بشهرة فائقة وسمعة عطرة في آفاق الأدب العربي بأسرها. نظرا إلى عبقريته هذه، تلمّذ عليه الكثير من الطلبة في مدرسته الأدبيّة الفكريّة حيث كان معظمهم قد ذابوا في شخصيته وخطوا خطوته في الطريقة والمنهج طوال عمرهم، وبقوا شارحين لأفكاره المختلفة ومردّدين لآرائه المتباينة، ولكن سيّد كان يمتاز عن غيره من الزملاء لكونه أبرز التلاميذ وأشهرهم في المدرسة العقادية، لأنه لم يكتف بتلمّذه على العقاد بل أعار اهتمامه البالغ إلى قراءة كل ما كان يكتب أستاذه من مقالات وقصائد، وما كان ينشرها من كتب ودواوين، وأبحاث ودراسات، كما لم يكن يترك كتابا أو ديوانا للعقاد إلاّ كان يعرّف به، ويعلّق عليه تعليقات نقديّة قيمة على صفحات الصحف والمجلات حيث كان يشير إلى عبقرية أستاذه ونبوغه.[2] فكان متأثرا بأستاذه إلى أقصى الحد.

وعلى الرغم من كونه متأثرا بأستاذه العبقري لدرجة قصوى وافتخاره بكونه تلميذا لمثل هذه الشخصية الألمعية إلا أنه غالى في نظرته للعقاد، وذهب إلى اعتباره أكبر من اللقب "أمير الشعراء" حيث زعم أن هذا اللقب غير لائق بشخصية العقاد لأنّ الفرق بينه وبين شعراء العرب في هذا العصر أوسع من المسافة بين السوقة والأمراء.

[1] Syed Qutb, Tifl u Min al-Qariyah, Manshoorāt al-Jamal, pg. 131.
[2] Khalidi, Dr. Salāh Abdul Fatāh, Syed Qutb: Min al-Mīlādi ilal istishhād, (1994), Ed.2, Beirūt, As Darush Shāmiyah, pg. 137.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

ويردف دعواه العريضة هذه بقوله إن العقاد أشعر شعراء العرب قديما وحديثا على حد سواء، ويتجلى مدى غلوه في عبارته حيث يقول: "ولقد كنت هممت بإصدار بحث عن الشعراء المعاصرين، ونظرت في أدب جميع الشعراء الأحياء – وأنا بينهم – ولكن عاقني عن إصداره أنني لم أجد نقاط اتصال بين العقاد الذي سأكتب عنه أولا، وبين جميع الآخرين من الشعراء. الفرق هائل جدا، وأكبر ما يتصوره الأكثرون، بين طاقة هذا الشاعر، والطاقات الأخرى."[3]

ولم يتوقّف سيّد هنا بل تجاوز إلى إعلانه عن العقاد أنه ليس أشعر الشعراء العرب فقط بل هو شاعر العالم برمّته، ويفضّله سيد على شعراء الغرب أيضا حيث يذهب إلى الرأي أن معربات كثيرة لشعراء الغرب المشهورين يفقد شيئا من تعدد الجوانب الصادقة ما يجده في غزل العقاد وشعره عامة، فيفضله على شعراء الغرب، والأخص بالذكر منهم بيرون (Byron) وشيلي (Shelley) وألفريد دي موسية (Alfred de Mossie) وفكتور هوجو (Victor Hugo).[4]

المطلب الثاني

عباس محمود العقاد شاعرا

كان العقاد شاعرا عبقريا مخلّفا وراءه العديد من دواوين شعريّة منها "يقظة الصباح"، و"وهج الظهيرة"، و"أشباح الأصيل"، و"أشجان الليل"، و"وحي الأربعين"، و"هدية الكروان"، وقد تناول صاحبها فيها موضوعات مختلفة فيما تتعلق بشتى جوانب الحياة. والجدير بالذكر أنّ العقاد يرى أن كلّ شيء قابل لأن يكون موضوعا للشعر بشريطة أن يكون الموضوع متّصلا بشعور الشاعر. وعندما نمعن النظر في شعر العقاد فنجده شعرا من نمط غير مألوف في العربية لأنه – على حد تعبير شوقي ضيف – "ثمرة لقاح الآداب العالمية والعربية في النفس المصرية الشاعرة الصادقة الحسّ، المرهفة الشعور،"[5] وهذا بسبب اطلاعه الواسع على الآداب الغربية والأدب العربي، وعصاميته الّتي تمتاز بها شخصيتها بين معاصريه.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الفضل الكبير في إطلاق الشعر العربي من القيود التقليديّة يرجع إلى شخصية العقاد الذي كرّس جهوده لإثارة الثورة في الأدب العربي كي يخطو خطوة موفّقة تجاه الرقي والازدهار على غرار الآداب العالمية الأخرى. ولكنه لم يكن راضيا لخروج الأدب العربي من النطاق التقليدي من ناحية مجرّد الصياغة بل كان يرى أن يتجدد بلحمه ودمه بكل ما في الكلمة من معان.[6] في الحقيقة كان العقاد متأثرا بالآداب الغربية ومنها

[3] Syed Qutb, Bayn al-Aqqād wa ar-Rafa'ee, Majallah Risālah, 1938, Issue No.251.
[4] Ibid
[5] Shawqi Zaif, Ma,'al Aqqād, (1964), Egypt, Dār ul Ma,'ārif, pg. 139.
[6] Hanna Al- Fākhoori, Al- Jāmi'u Fi Tāreekhi al- Adabi al-Arabī (Al-Adabu al- Hadeethu), Egypt, Daru Taqwa li Tab'i wa Nashri wa Tawzee'I, pg.304.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

الأدب الإنجليزي بنوع خاص لتأثره البالغ بالأديب الإنجليزي وليم هازلت (William Hazlit).[7]

أما نظرية العقاد في الشعر فهي أسمى وأرقى من فكرة معاصريه الذين يعرفون الشعر كثيرا ما بمجرّد كلام موزون مقفى تؤثّر عواطف الناس، ولكن العقاد يعرفه بأنه "حقيقة الحقائق ولب اللباب والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها، فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تداجي بينها وبين ضميرها، فالشعر كاذب، وكل شيء في هذا الوجود كاذب، والدنيا كلها رياء ولا موضع للحقيقة في شيء من الأشياء."[8]

فهذه فكرة العقاد في الشعر أصدق برهان وأدلّ دليل على ألمعيته المبهرة ومنزلته السامية بين معاصريه في مجال الشعر. وهو يذهب إلى رأي أن الشعر قد يبدو مخالفا للحقيقة في صورته، ولكن القارئ المتعمق يدرك الحقيقة المضمرة في روحه وكنهه، لأن الشعر تعبير صادق عن مختلجات الوجدان حيث لا ينطق الشاعر عن الهوى، بل يعبر عن وحي يوحى ويلهم إلى نفسه. وكذلك يرتأى العقاد رأيا أنه لا غرو في الاستعارات والتشبيهات التي يستعلمها الشاعر في كلامه الشعري والتي تختلف في ظاهرها عن الواقع، لأنها تتميز بانسجام كامل ووحدة لا تتجزأ في كنهها وجوهرها. نظرا إلى هذه الآراء القيمة، يمكن لنا القول إن فكرة العقاد في الشعر ونظريته تختلف تماما عن معتقدات معاصريه.

وأما الموضوعات الرئيسة التي أسهب فيها العقاد تتضمن الطبيعة والحب، حيث نلاحظ أن الطبيعة ذات صلة متينة بالكون، والكون في قلب الشاعر. والشاعر في قلبه، والحب عنده ليس جمالا في الوجه، أو سوادا في العين، أو رقة في الخصر، أو إلى غير ما هنالك من الصفات الجسديّة، بل الحبّ — عند العقاد – عبارة عن سموّ في الروح وطيب في الشمائل.[9]

تتضح مكانة العقاد في الشعر العربي الحديث من قول شوقي ضيف حيث علّق على شخصية العقاد قائلا إنه "تزعم أول مدرسة جددته تجديدا واضحا مستقيما وهو تجديد فتحت فيه نوافذ شعرنا على الآداب العالمية، وزالت عنه غشاوات التقليد، واندفع ليمثّل الروح المصريّ العربي الأصيل متغنيّا ببواطن السرائر إزاء الإنسان والكون متأمّلا في الحياة والوجود، نافضا عنه الصورة التقليدية الحسية القديمة، مفضيا إلى صورة معنوية جديدة تموج بالمشاعر الوجدانية والتأملات العقلية. ولم تعد الوحدة في البيت، بل أصبحت الوحدة القصيدة بنظامها المتساوق الذي تتواصل فيه الأبيات وتتداخل كما تتداخل الخيوط في النسيج، بل تتخلق كما تتخلق الأعضاء في الكائن الحي."[10]

---

[7] Ibid, pg.300
[8]Abbās Mehmood al-Aqqād, Mutāl'atun fī al-Kutubi wal Hayāti,(2013), Cairo, Mu'ssasatu Handāwi li T'alēmi wa Thaqāfah, pg.297.
[9]Shawqi Zaif, Ma'al Aqqād, (1964), Egypt, Dārul Ma'ārif, pg.141-143.
[10]Ibid, pg.173-174.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

قصارة القول إن الفضل في تجديد الأدب العربي وإطلاقه من القيود التقليدية يرجع إلى العقاد الذي بذل قصاراه بفضل عصاميته لرقي الأدب العربي كي يجري مجرى الآداب العالمية ورقي رقيها على حد سواء.

المطلب الثالث

شعر العقاد في ميزان سيد قطب

لاحظنا فيما سبق كيف بدأت العلاقات الأدبية بين سيد والعقاد، وكيف صار سيد من مريديه. وهذا الالتقاء والتواصل بينهما قد نجم عن الانسجام الكبير بين الشخصيتين بغض الطرف عن الفرق المتواجد في العمر والخبرة بينهما، كما أسفر عن التشابه بينهما في أمور متعددة، ومنها أن كليهما ذو مواهب متعددة في الشعر والنثر والنقد الأدبي، وكانا عضوين في حزب الوفد حتى منتصف الثلاثينيات ثم تخليا عنه، ولم يتزوّجا وإن كان سيد قطب قد خطب وذكر تجربته في روايته "أشواك"، وكلاهما كان معتدّا بنفسه ذا شخصية قويّة مؤثّرة.

وكذلك عرفنا أن سيد قطب كان متأثرا بشخصية العقاد إلى أقصى الحد حيث خاف من ذوبان شخصيته في شخصية العقاد فانفصل عنه على جناح السرعة، وخطا خطوته الموفقة المنفصلة حيث بدت شخصية مستقلة عبقرية، له آراء شخصية متميزة بالإبداع والابتكار في شتى الفنون الأدبية بما فيها الشعر والقصة والرواية وغيرها. نظرا إلى ألمعيته الحادة هذه، نجد سيد قطب ناقدا بارعا له أصول وآراء يقيس على محكها النصوص الأدبية بغية تقويمها من ناحية فنية. فتناول كلام معاصريه من المنثور والمنظوم بدراسة نقدية وكشف عن جوانبها الإيجابية والسلبية على حد سواء. مع أن سيد قطب تلمّذ على شخصية العقاد وتأثر بشخصيته الأدبية بدرجة قصوى إلاّ أنه لم يتخلّف عن تناول مؤلفاته ومقالاته الأدبية بدراسة نقدية، وانتقده في بعض الأحيان دون أي تردد وتذبذب. تناول سيد قطب شعر العقاد بدراسة نقدية وقوّمه على محكّ المقاييس الأدبيّة والنقديّة المقبولة عنده، حتى يعرّف بالعقاد شاعرا في ضوء كلامه الشعري مع تسليط الضوء على أهم ميزاته إيجابا وسلبا.

يرى أن العقاد كان يعيش في وضح النّهار مع حس صاح، وذهن واع، وطبع حيّ ولم يكن يتيه في واد في ماراء الوعي أبدا. وعلى الرغم من وضوح معالم الإحساس والتصور عند العقاد مع رحابتها وانفساحها وعمقها ودقتها، إلا أنه يكورها شيء من الوعي المتقيظ والذي يحدّها عن التجول في واد مسحور وعن الانطلاق في متاهات مجهولة. ولكن هذا لا يعني أن للمجهول ليس حسابا في نفس العقاد، بل في حقيقة الأمر هذا المجهول نفسه محاط بالوعي ويدعو إلى فرضها العقل، "وليس الإيمان بهذا المجهول توهانا روحيا ولا صوفية غامضة، إنما هو رحابة نفسية وفكرية."[11]

[11]Syed Qutb, Kutubu wa Shakhsiyāt, (1983), Ed.3, Egypt, Daru Sharooq, pg.84.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

يليق بالذكر هنا أن سيد قطب يقسم شعر العقاد إلى نوعين حيث يكون النوع الأول مفعما بالعناصر الفكرية أكثر من العناصر النفسية الوجدانية، فيقول إن شعر العقاد يتضمن حظا كبيرا من "تصوير الحالات النفسية وتسجيل الخواطر الفكرية، وإثبات التأملات المنطقية – إذا صح هذا التعبير – بقدر ما تقلّ فيه السبحات الهائمة، والانطلاقات التائهة، والظلال الشائعة. فكل شيء واضح، وكل شيء له حدود."[12]

يتجلّى مما سبق أن سيد له فكرة واضحة في أصالة الشعر وميزاته المطلوبة عنده، وهو يذهب إلى رأي أن الموضوع الذي يقال فيه الشعر لا يحدده، بل تحدده درجة الشعور بهذا الموضوع، وطريقة التعبير عن هذا الشعور وهي بصورة موحية. فيلقي ضوءا على أصالة الشعر وحدوده المطلوبة عنده حيث يقول: "فأيما إحساس استجاش النفس، ورفع نبضها عن النبض العادي اليومي، وجعلها تحس بالوهج أو الانطلاق أو الرفرفة، أو السبح في عوالم مجهولة. وخلصها – ولو لحظة – من الوعي الكامل والصحو المتيقظ. فهو إحساس شعري. فإذا توافر للتعبير عن هذا الإحساس أداء مصور للحالة النفسية التي صاحبته في الحس، وللظلال الشعورية التي واكبته في النفس، واشترك الإيقاع في هذا التصوير، متسقا مع الجو الذي عاش فيه هذا الشعور... فذلك هو الشعر."[13]

نظرا إلى هذه الفكرة الواضحة في الشعرعند سيد قطب، هو يطلب نفس الميزات في شعر الشعراء ويقيسه على محك نفس المقاييس. ولذلك هو ينتقد بعض الأبيات للعقاد لكونها بعيدا عن عالم الشعر لأنها تخاطب الفكر والعقل أكثر من والوجدان والنفس، وهي تتميز ببرودة الفكر أكثر من التوهج والتموج في الانفعالات النفسية والرفرفة الطليقة والحيوية المتدفقة. ويرى أنه كان المستحسن أن لا تُدرج مثل هذه الأبيات في ديوان العقاد بل – على العكس – مكانها الأصيل في كتبه النثرية. ويستدلّ دعواه هذه باستناده إلى بعض الأبيات الشعريّة للعقاد حيث تتمركز فكرة الشاعرعلى التأملات التجريدية والتجارب المنطقية، وينقل عن العقاد الأبيات التالية حيث يقول:

أيما لفظ جرت من فم المرأة امرأة
تجعل الزوج من فئة والأخلاء من فئة
ليس بالجسم وحده يعرف الجنس منشاه[14]

ولا شك أن هذه الأبيات نموذج من تجربة كاملة صادقة ولكن سيّد لا يعتبرها شعرا ويزعم أن ليس مكانها هنا في الديوان، ويرى أنّ "مكانها في "خلاصة اليومية" وفي التأملات التجريدية. وإنك لن تصغر من قيمتها حين تضعها في موضعها. فإنها جزء من ذخيرة الإنسانية في تجاربها الصادقة الأصيلة. ولكنها قضية عارية من الصور الظلال، ومن الإيقاع أيضا."[15]

[12]Ibid
[13]Ibid, pg.89-90.
[14]Ibid, pg.85
[15]Ibid

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

ومع أنّه يُدلي بتعليقاته النقديّة على هذه الأبيات إلاّ أنه لا ينكر شاعريته بأسرها بل يشيد بكونه شاعرا عبقريا ويعتبره أسمى منزلة من بين معاصريه. وهذا ما يتجلّى من آرائه حيث يرى أن العقاد يبلغ قمته عند بلوغ الحيوية تدفّقها والتي تغشى المنطق والواعي وتغطي عليه، ولكن عندما يخمد هذا التدفق في نفس العقاد يتجرد شعره من لحمه وشحمه حتى يتصور القارئ المتذوق أن مكان الأبيات المتميز بالتأملات الفكرية ليس في ديوان العقاد، بل هو في كتبه التي تحمل القضايا المنطقية بين دفتيها.

والجدير بالذكر أنّ سيّد قطب لم يكتف بسرد الجوانب المنطقية والتأملات الفكرية في شعر العقاد بل تناول بعض قصائده المتميزة بالتوهّج والتدفّق والتموّج في الانفعالات بالثناء العاطر، واعتبرها نماذج فريدة في تراث الأدب العربي. وعلى سبيل المثال نشير إلى قصيدة العقاد "يوم الظنون" التي اعتبرها سيد المثل الأعلى في تراث العقاد الشعري لكونها متميزة بتدفق الحيوية حيث يقول العقاد:

يوم الظنون صدعت فيك تجلدي — وحملت فيك الضيم مغلول اليد
وبكيت كالطفل الذليل أنا الذي — ما لان في صعب الحوادث مقودي
وغصصت بالماء الذي أعددته — للريّ في قفر الحياة المجهد
لاقيت أهوال الشدائد كلّها — حتى طغت فلقيت ما لم أعهد
نار الجحيم إليّ غير ذميمة — وخذي إليك مصارعي في مرقدي
حيران أنظر في السماء وفي الثرى — وأذوق طعم الموت غير مصرّد[16]

يعلّق سيد قطب على هذه القصيدة تعليقات قيمة تشير إلى أهم الميزات الأدبية التي لا بد من وجودها في قصيدة أدبية رائعة، ويقول: "هنا تحس تدفق الحيوية، وصرخة النفس الحية، وارتفاع الإيقاع وعمقه وقوته كذلك، تتناسق جميعها في تصوير هذا الشعر الغامر، الذي يعتلج في نفس الشاعر، وهو شيء آخر غير تلك التأملات التجريدية التي مر بك نموذج منها."[17]

تبين من خلال هذا البحث الوجيز أن سيد قطب يقيس شعر العقاد على محك مقاييسه النقدية حيث يطلب من الشاعر التركيز الكامل على الانفعالات النفسيّة أكثر من التأملات الفكريّة، وتوجيه الانتباه الكبير إلى عناصر العمل الأدبي لكونها متماسكة بعضها بالبعض لإنشاء وحدة فنية كاملة في الأبيات الشعرية.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن سيد لم يتحدث عن القضايا الفنية في شعر العقاد بل تناول غزل العقاد بشيء من الإسهاب حيث ركّز عنايته على مفهوم الجمال، والطبيعة والحب عند العقاد وأشاد بالعقاد لكونه عبقريا في نفس المجال، ولا يعتبر أحدا من معاصريه يقوم مقامه على الوجه المطلوب من ناحية عمق فكره ودقة فلسفته وسعة أفقه.

[16] Ibid
[17] Ibid, pg.86

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

يرى سيد قطب أن نظرية العقاد في الحب والجمال تتميز بنوع من الإبداع والابتكار ولا يساويه أحد ممن يعاصروه من الأدباء والشعراء لأنه يسلك مسلكا مختلفا تمام الاختلاف عنهم حيث يجعل السامع أو القارئ الاستسلام إلى آرائه الأدبية النقدية المدعّمة بأدلّة قاطعة وبراهين واضحة. يذهب سيد قطب إلى رأي أنه من المحتوم للشاعر أن يتحدث عن أنواع الجمال التي تستهويه، والمعاني التي يدل عليها الجمال، ووشائجه المتينه بغايات الحياة الكبرى، وعلاقاته الوثيقة بالطبيعة في كيانها ومراميها. نظرا إلى هذه المتطلبات، هو يعلّق على العقاد أنه "وحده في الشعر العربي كله هو الذي يقول لنا هذا في عمق ودقة وقصد، ويصوره بأوضح وأصح ما يستطاع. وأقول (في الشعر العربي كله) وأنا أعني ما أقول، فما يوجد شاعر واحد يجتمع له في شعره العربي ما اجتمع للعقاد، وتتوفر في نفسه هذه الأوتار المتعددة، التي يوقع عليها الحب هذه النغمات كلها، ويخرجها هكذا واضحة سليمة"[18]

ويوضح سيد أنه لا مرية في أن هذه الأوتار يوجد بعضها في نفوس الشعراء الآخرين أيضا ولكنها تتفرق ولا تجتمع مثل اجتماعها عند العقاد، ولا تلتئم هذا الالتئام في نفس واحدة، وأما ما يوجد منها متفرقا عند العقاد فهو يتفرد بطرافة وخصيصة ما تميزه عن معاصريه من الشعراء لأنهم لا يبلغون هذا المبلغ تفردا وطرافة.

وقد تناول سيد قطب فكرة العقاد في الجمال على وجه التفصيل مع جميع أنواعه وجوانبه، ولم يكتف بسرد نظريته في الجمال بل قد اهتم بإيراد بعض أبياته الشعرية لاستدلال على فكرته في الجمال المتميزة بالسعة والطرافة. يرى سيّد قطب أن العقاد يعتبر منبت الجمال في الحرية حيث يرى أن الجسم الجميل هو ما ليس فيه فضول، "وأنه الجسم الذي تراه فيخيل إليك أن كل عضو فيه يحمل نفسه غير محمول على سواه.
من هنا جمال الرأس الطامح والجيد المشرئب، والصدر البارز، والخصر المرهف الممشوق، والردف المائل، والساق التي يبدو لك من خفتها وانطلاقها واستوائها، أنها لا تحمل شيئا من الأشياء ولا تنهض بعبء من الأعباء."[19]
فيمكن لنا القول إن سيد يوضح فكرة العقاد في الجمال بكل وضوح وجلاء حيث يرى أن العقاد لا يرى مصدر الجمال في الانسجام أو التناسب مثل الشعراء الآخرين بل ينحو منحى منفصلا طريفا في هذا الصدد ويراه في الحرية في أداء الوظيفة أكثر من الانسجام التام.[20]

وكذلك تناول سيد نظرية العقاد في الحب تفصيلا حيث يرى أنه "لن يقف به عند اللهفة الظامئة، أو الفورة العارمة، ولا عند الحنين والدموع، أو الفرحة والاستمتاع. فللحب بعد هذا وذلك وشائج بالحياة الكبرى، ومسارب في الكون والطبيعة، ومدارج وملاعب في ساحة الخلود وليس هو إحساسا في نفس فرد، ولكنه فورة

[18]Syed Qutb, Bayn al-Aqqād wa Rāfa'ee, Majallah ar-Risālah, 1938, Issue No.265.
[19] Ibid
[20] Abbās Mehmood al-Aqqād, Mutāla'ātu fi al- Kutubi wa al- Hayāti, (2013), Cairo, Mu'assasatu Handāwi li T'āleemi wa Thaqāfah, pg.260.

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

وقوة في نفس كون، ودفعة ومضطرب في ضمير دنيا، وحياة وحركة في قلب وجود"[21]

يرى سيد قطب أن الحب عند العقاد لا تحوم ساحته الأفكار الضيقة الأطراف بل كل من يهتمّ بدراسة أشعار العقاد دراسة متعمقة لينتهي إلى أنها مترامية الأطراف. وقد تناوله سيد بإسهاب حيث يورد كثيرا من الأبيات الشعريّة للعقاد استدلالا بها على شتّى جوانب الحب. وسنذكر بعضها فيما يلي بمنتهى الإيجاز.

يرى سيد أن الحب عند العقاد تمهيد للخلود والدوام، وهو عبارة عن المران للحصول على حياة الخالدين، كما يتجلى من أبيات العقاد التالية:

هذي الليالي الدنيوية نفحة من عالم الملكوت والأعراف
لو لا النعيم لما خطرت لنا مثل النعيم بجنة ألفاف[22]

وكذلك تناول العقاد الحب في جل كلامه الشعري حيث يراه أنه رفعة للنفس، ونقلة إلى عالم النجوم، وعمق في الحيوية تطول به الأعمار، وإيغال في المجاهل والآباد والعهود والأزمان، كما يعتبره قدرة قادرة تعطي أصحابها مشابه من الألوهة، و مقابس من النبوة، ويهب في بعض الأحيان ما لا تعطيه الأقدار. بل الحب عند العقاد ملخص للأحاسيس الإنسانية في نفس الشاعر، ومعلم يهب الحس فطانة والروح نفاذا والفكر يقظة، وفيه مهرب من الحياة إذا ساءت إلى دنيا جديدة كما يوضحها العقاد في الأبيات التالية حيث يقول:

إذا ساءت الدنيا ففي الحب مهرب ... وتحسن دنيا من أحاط به الحب
فبالحب تدري الحسن والقبح عندها ... وفي الحب علم لا تعلمه الكتب[23]

يلخّص سيد قطب نظرية العقاد في الحب بقوله أنه عالم مترامي الأطراف، وفن من أعجب فنون الحياة، ومجال للخيال والحس والتعبير على غير مثال. ويرى أنه لو اكتفى العقاد بقوله هذا ولم يتجاوز بتناول القضايا الأخرى في شعره لكان مستحقا لإطلاق اللقب "الشاعر الكبير" عليه.

على الرغم من تعقب سيد قطب شعر العقاد بالنقد لكونه متميزا ببرودة الفكر بدلا من توهج الانفعالات إلا أنه لا ينكر عبقريته الفريدة وموهبته الألمعية في مختلف الفنون ومنها الشعر بنوع خاص، ويتجلى مدى تأثره بشعر العقاد من تعليقاته القيّمة على شعره حيث يقول: "وحين يتابع الناقد غزل العقاد في دواوينه السبعة، يعجب كيف يكون قائل هذه الأنماط كلها رجلا واحد لو لا أن يثوب إلى خصائص العقاد العامة في هذه الأنماط على اختلافها. وتروعه النفس الفسيحة التي تتلقى نماذج الحبيبات كل بما تستحقه، ثم تنفسح بعد هذا لتلقي الحالات النفسية المتتابعة مع كل حبيبته؛ وتتسع لنماذج الحب المختلفة بين الصوفية والحسية، وبين الغرارة والتجريب، وبين البساطة والتركيب، وبين الصعود والهبوط... وتقول في كل حب، وفي كل حالة شعرا أصيلا كأنه — وحده — هو

[21] Syed Qutb, Gazlu al-Aqqād, Majallah al-Risālah, 1938. Issue No. 266.
[22] Ibid
[23] Ibid

Al-Ḍād Journal
DOI: https://doi.org/10.22452/aldad.vol7no1.2
e-ISSN: 2637-1146
https://ejournal.um.edu.my/index.php/aldaad/index

اتجاهها الوحيد!"[24]

فهذه السطور تميط اللثام عن تقييم سيد قطب شعر العقاد وميزاته الخاصة التي تميزه عن معاصريه من الشعراء العرب، والتي تشير إلى أنه كان شخصية فذة تستحيل الإحاطة بشتى مقوماتها، كما يتضح أن العقاد كان بحرا زاخرا من ناحية العلم والثقافة حيث تتلاطم أمواج شتى فروع المعرفة.

الخاتمة

توصّلنا من خلال هذه الدراسة الوجيزة المتواضعة أن سيد قطب تناول شعر العقاد بدراسة نقديّة حيث ألقى ضوءا كاشفا على جوانبه الإيجابية والسلبية على السواء. وقد أدركنا أن سيد قطب غالى في بعض الأحيان في شخصية العقاد ولم يعبتره لائقا للقب "أمير الشعراء" لكونه أسمى منزلة من نفس اللقب الذي كان قد أطلق على الشاعر المصري أحمد شوقي. ولكنه حقيقة لا تدحض أن سيد لم يتردد في انتقاد أبيات العقاد الشعرية لكونها خالية من الميزات الأدبية المطلوبة في الشعر عنده. فعبارة أدق، يمكن لنا القول إن سيد قد آتى بمرآة صادقة لشعر العقاد مع تسليط الضوء على دقائقه وأسراره الأدبية التي يستحيل الاطلاع عليها بيُسر وسهولة، ولن ينتهي إلى إدراكها إلا الذهن ذو ألمعية حادة مثل سيد قطب. فصفوة القول إن مقالات سيد التي كتبها في شعر العقاد تتضمن بحثا شاملا ومعلومات قيمة في الموضوع، وتفتح منافذ للقارئ للانسلال إلى صميم شعر العقاد كي يدرك جوهره ودقائقه، وتمكنه من تذوق كلامه الشعري على الوجه المطلوب. ولعلنا لا نخطئ حينما نقول إن سيد قد تخلى عن الرأي حيث غالى في نظريته في شعر العقاد واعتبره أسمى من اللقب "أمير الشعراء"، لأن المقالة التي توجّه فيها إلى الغلو في مدح العقاد قد كتبت في الثلاثينيات من القرن العشرين، والمقالة التي انتقد فيها شعر العقاد لكونه متميزا ببرودة الفكر أكثر من توهج الوجدان نشرت في الاربيعينيات من القرن الماضي، وقد حالفه التوفيق والنجاح حقا في إيراد الأدلة المرضية لتبرير موقفه تجاه شعر العقاد.

[24] Syed Qutb, Gazl al- Aqqād, Majallah al-Risālah, 1938, Issue No. 269.

References

‘Aqqād, ‘A. M. (2013). Muṭāla’āt fī al-Kutub wa al-Ḥayāt, Cairo: Handawi Institute for Education and Culture.

Al-Fākhūrī, H. (2018). Tārīkh al-Adab al-‘Arabī (Modern), Dār al-Taqwā li Ṭabā’a wa al-Nashr wa al-Tawzī’.

Khālidi, S. A. F. (1994). Min al-Milād ilā al-Istishhād, Beirut: Dār al-‘Ilmiyya.

Ḍaif, S. (1964). Ma’a al-‘Aqqād, Cairo: Dār al-Ma’ārif.

Quṭb, S. (1838). Bayn al-‘Aqqād wa al-Rāfi’ī, Majalla Risāla, 265.

Quṭb, S. (1938). Bayn al-‘Aqqād wa al-Rāfi’ī, Majalla Risāla, 251.

Quṭb, S. (1938). Gaz al-‘Aqqād, Majalla Risāla, 266.

Quṭb, S. (1938). Gzl al-‘Aqqād, Majalla Risāla, 269.

Quṭb, S. (1983). Kutub wa Shakhṣiyyāt, Cairo: Dār al-Shurūq.

Quṭb, S. (n.d.). Ṭifl Min al-Qarya, Germany.